بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 42 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:22\02\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

ما زال الكلام في الآية العشرين: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾.

بعض المفسرين، بل بعض من اهتم بالتفسير العرفاني للآيات الشريفة كالقشيري مثلاً في لطائف الإشارات، ذكر كلاماً في تفسير النعم الظاهرة والنعم الباطنة، بحيث يتناسب مع ذوق العرفاء وأهل الكشف والشهود.

فحسن الخَلْق من النعم الظاهرة وحسن الخُلُق من النعم الباطنة أو أن الاعتدال بالنعمة من النعم الظاهرة والاعتداد بالمنعم من النعم الباطنة. وهكذا بما يتناسب مع مشاربهم.

والصحيح كما أشرت إليه سابقاً: أن الآيات الشريفة التي تشتمل على ألفاظ تكون دلالتها على مفاهيمها واضحة، سواء كانت الدلالة إفرادية، كما لو كان هناك لفظ واحد نبحث عنه، كلفظ الغيب، أو كانت دلالتها تركيبية كالنعم الظاهرة والنعم الباطنة، فهذا مركب.

هذه الألفاظ المفردة والمركبة التي تدل على مفاهيم واضحة، عندما تلقى إلى كل عارف باللسان يُفهم لها معنى وينقذف مفهومها في الذهن بلا إشكال، حينئذ إذا ورد في بعض الروايات أو في بعض الكلمات ما يعين مصداقاً من المصاديق لذلك المفهوم المستفاد من لفظ إفرادي أو تركيبي، لا محالة نحمل تلك النصوص على ما يسمى بالتفسير المصداقي لا التفسير المفهومي.

وهذا له ثمرات كثيرة في فهم الآيات، مثلاً في قوله تبارك وتعالى: ﴿الم (1) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...﴾[1] جاء في بعض الروايات تفسير الغيب بالله تبارك

[1] البقرة (1 - 3)

وتعالى[2]، وفي بعض الروايات الأخرى فسر الغيب بالإمام الغائب[3] عجل الله فرجه الشريف، للوهلة الأولى قد يقال بأن هناك تناف بين هاتين الروايتين.

إذا حملنا كل الرواية على تفسير مفهومي، فسنقع في التنافي ونقع في مشكلة، أما لو حملنا الرواية على تفسير مصداقي، وأن الإمام عليه السلام المتكلم بهذا النص أعطى المصداق المتناسب مع حال السائل، فلا يكون هناك تناف بين الروايات وبين النصوص.

ما نحن من فيه هذا القبيل، النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة مفهومان واضحان لا يمكن لعالم باللسان أن يشكك في معنيهما. غاية الأمر المصاديق متعددة، فمقتضى عدم البيان أن نحمل النعمة الظاهرة على كل نعمة أعطاها الباري تبارك وتعالى لعبده وكانت بالنسبة له ظاهرة، وهكذا فيما يقابلها.

فحينئذ لا حاجة للبحث عن الحصر، وما ورد في بعض العبائر وما شابه ذلك.

في ختام هذه الآية بقي لدينا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾.

تذييل الآية الشريفة بهذا المقطع يجعل المجادلة أمراً مستغرباً مستنكراً بعد تلك النعم الالهية وتلك الآيات الآفاقية والأنفسية ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾ بعد تلك الآيات وبعد الإنعام يأتي ذلك المخلوق ويجادل في الله هو أمر مستنكر، هو أمر على خلاف الفطرة، هو أمر فيه جحود.

لهُ عليَّ أيادٍ لستُ أُنكرُها وإنّما الكفرُ أنْ لا تشكرَ النعمُ[4]

---

[2] قَالَ الْإِمَامُ ع ثُمَّ وَصَفَ هَؤُلَاءِ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ هَذَا الْكِتَابُ هُدًى لَهُمْ فَقَالَ: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) يَعْنِي بِمَا غَابَ عَنْ حَوَاسِّهِمْ- مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَلْزَمُهُمُ الْإِيمَانُ بِهَا، كَالْبَعْثِ [وَالنُّشُورِ] وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَائِرِ مَا لَا يُعْرَفُ بِالْمُشَاهَدَةِ.
البرهان في تفسير القرآن، ج1، ص: 129. قال علي بن إبراهيم: والهداية في كتاب الله على وجوه، فـ هُدىً هو البيان الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ قال: يصدقون بالبعث والنشور، والوعد والوعيد.

[3] الميزان فى تفسير القرآن، ج1، ص: 46. في المعاني، عن الصادق (ع): في قوله تعالى: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، قال: من آمن بقيام القائم (ع) أنه حق. أقول [العلامة]: وهذا المعنى مروي في غير هذه الرواية وهو من الجري.
وهي في كمال الدين وتمام النعمة، ج1، ص: 17 بسندها: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْمُتَوَكِّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارِ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ كَثِيرٍ الرَّقِّيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ قَالَ مَنْ أَقَرَّ بِقِيَامِ الْقَائِمِ ع أَنَّهُ حَقٌّ.

[4] لم أعثر على القائل.

هذا مقتضى الفكر، فبعد تلك الآيات والدلائل، بعد تلك النعم الظاهرة والباطنة، يأتي ذلك العبد ويجادل في الله.

ويزيد الأمر استنكاراً غرابة أنه يجادل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾.

وضع هذه المجادلة في حيز الآيات الباهرة الظاهرة والباطنة يعطينا أن المجادلة في الله من الأمور التي على خلاف الفطرة، وعلى خلاف العقل، وعلى خلاف الطبيعة.

هذا المقطع تكرر في أكثر من آية، في سورة الحج وردت آيتان بهذا المضمون، الآية الثالثة من سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾[5] والآية الثامنة من سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾[6] وهي مطابقة تماماً لهذه الآية التي نبحث عنها.

كما تلاحظون بين الآيتين في سورة الحج تفاوت، ففي الآية الثالثة ذلك المجادل مقلِد؛ لأن الآية قالت: ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ﴾ وفي الآية الثامنة من سورة الحج المجادل مقلَد، يعني واحد مقلد بالكسر وواحد مقلد بالفتح؛ لما في آية من قوله: ﴿ليضل به﴾ يعني من يضله ذلك المجادل، فهو مقلَد.

بهذا النص: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ﴾ ينحصر بهذه الآيات الثلاثة، آيتان في الحج وآية في سورة لقمان.

أما بعض الآيات هكذا عبرت كما في سورة غافر: ﴿ما يُجادِلُ في آياتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾[7] لا في الله.

والمقصود من المجادلة في الله هو ما يرجع إليه تبارك وتعالى صفاته وأفعاله وجلاله وجماله وما يرتبط به من تشريعاته وأموره وأفعاله التكوينية، هذه المجادلة في لله.

قد يقال: إن هذه الآية المباركة تذم المجادلة في الله بشرط لا مطلقاً، وهو إذا كانت المجادلة في الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنيرٍ﴾ أما المجادلة في الله بعلم وهدى وكتاب منير فلا تكون مذمومة؛

---

[5] الحج 3
[6] الحج 8
[7] غافر 4

لأننا نحن نعرف بأن المجادلة على نحو الإطلاق ليست مذمومة، وإلا ورد: ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن﴾[8] فورد الأمر بها. وإنما المجادلة التي تكون على نحو المراء وما شابه ذلك كنحو المكابرة الناشئة من الجهل والتقليد فهي هذه المذمومة. أما مطلق المجادلة ليست مذمومة، فيمكن للإنسان أن يناظر في الله تبارك وتعالى ويناقش في ذاته وصفاته وأفعاله إذا لم يصدق عليها أنها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنير﴾.

قلت: بحسب ما أشرت إليه قبل ذلك، نفهم أن ذات المجادلة هنا مذمومة، لا المجادلة في خصوص وصف أن تكون بغير هذه الأمور الثلاثة. وإنما جاءت هذه الأمور الثلاثة لتزيد من شناعتها وبشاعتها، بل في الواقع المجادلة في الله مع وجود الآيات الباهرة دائماً سوف تكون ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنير﴾.

نعم إذا كان المقصود المجادلة في الله دفاعاً، هذا لا يصدق عليهم مجادلة في الله، بل مع الحفاظ على هذا المصطلح، تريد الآية الشريفة أن تدل أنه مع وجود آيات الآفاقية والأنفسية والنعم الظاهرة والباطنة سوف تكون المجادلة في الله دائماً وأبداً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتابٍ مُنير﴾.

وسائل المعرفة هي هذه الأمور الثلاثة: العلم بمقتضى المقابلة هنا يراد منه الأدلة العقلية التي يهتدي إليها الإنسان بعقله الصحيح. والمراد من الوسيلة الثانية، وهي الهدى ما يلهمه الإنسان عن طريق وحي أو عن طريق رياضة نفسية ويكون صادقاً. والمراد من الوسيلة الثالثة، وهو الكتاب الذي يوحى به إلى الرسول، أي رسول كان.

فإذن هذه المجادلة تبدو على خلاف الطبع الصحيح، وعلى خلاف الفطرة، في سياق الآيات الباهرة والنعم الظاهرة والباطنة.

وفقنا الله سبحانه وتعالى أن نجادل أهل الباطل لنرفع باطلهم، وندافع على أيتام آل محمد ﷺ.

---

[8] النحل 125